Санкт-мученик попы Илариона
Троицкого
1886 - 1929



القدّيس الشهيد في الكهنة
هيلاريون ترويئيتسكي

ترجمها عن الروسية
عامر هلسا

سلسلة الشهداء والمعترفون الروس الجدد ٢

القدّيس الشهيد في الكهنة هيلاريون ترويتسكي

الجبل للنشر والتوزيع

التراث السلافي الأرثوذكسي

الكتاب: القدّيس الشهيد في الكهنة هيلاريون

المترجم : عامر هلسا

الناشر : الجبل للنشر والتوزيع .

الطبعة : الأولى ، ٢٠١٦.

للطلب داخل جمهورية مصر العربية :

دار مجلة مرقص : ٢٨ شارع شبرا - ٢٥٧٧٠٦١٤

للطلب داخل المملكة الأردنية الهاشمية :

٠٠٩٦٢٧٩٦٥٠٠٣٣٢

للطلب داخل لبنان وسوريا والإستعلام عن اماكن التوزيع:

٠٠٩٦١٣٦٠٣٧٨٣-٠٠٢٠١٠٠٥٨٧٧٩٢٢ -٠٠٢٠١٢٧٧٣٩٧٧٧٢

القدّيس الشهيد في الكهنة هيلاريون ترويتسكي

(مطران وسجين)

ترجمة / عامر هلسا

مراجعة : الدكتورة / يوليا بيتروفا



القدّيس الشهيد في الكهنة هيلاريون ترويئيتسكي

القدّيس الشهيد في الكهنة هيلاريون تروئيتسكي

الطـريق

كان من أبرز شخصيات الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في عشرينات القرن العشرين القدّيس هيلاريون (**تروئيتسكي**) رئيس أساقفة فيريا[1] عالم اللاهوت المعروف والإنسان الكثير المواهب. كانت حياته كلها لهيباً من محبّته الفائقة لكنيسة المسيح منذ طفولته حتى نيله إكليل الشهادة من أجلها.

وُلد القدّيس هيلاريون (**اسمه في العالم فلاديمير أليكسييفيتش تروئيتسكي**) في ١٨٨٦/٩/١٣ في أسرة الكاهن في قرية ليبيتسي بمحافظة تولا[2] Тула في روسيا. كانت أسرة تروئيتسكي قد ورثت الكهنوت من أجدادها،

---

[1] فيريا – مدينة في محافظة موسكو.

[2] تولا هي إحدى مدن روسيا في الكيان الفدرالي الروسي تولا أوبلاست.

ولذلك تربّى القدّيس المستقبلي في جو التقاليد الأرثوذكسية الأصيلة. كان جدّ فلاديمير الأب بطرس قد اشتهر كرجل مثقف ومحبوب من الشعب. وارتبط **ديميتري شقيق فلاديمير** بسلك الرهبنة لاحقاً وأصبح أسقفاً لمدينة بريانسك، أما أخوهما الصغير **ألكسي** فخدم كاهناً في نفس القرية **ونال إكليل الشهادة في معسكر الاعتقال على يد البلاشفة.**

لقد أبرز فلاديمير ميلاً كبيراً للدراسة منذ طفولته المبكّرة وأصبح يقرأ المزامير في الكنيسة قبل أن يدخل المدرسة. وعندما كان في الخامسة من عمره أخذ أخاه الذي كان أصغر منه بسنتين بيده وذهب به من القرية إلى موسكو "للدراسة" دون أن يقول لأحد شيئاً. بعد قليل انتبه أهل البيت إلى غياب الولدين وانطلق أبوهما بحثاً عنهما ، فلحق بهما في الطريق وابنه الأكبر يحمل كتاباً في يده. وردّ على توبيخ والده قائلاً بكل جدّية: **"لا تزعل يا بابا ، لومونوسوف**[٣] **جاء إلى**

موسكو ماشياً على أقدامه، وأنا أيضاً قرّرت أن أذهب هناك للدراسة!".

عندما التحق فلاديمير بالدراسة مرّ بكل مراحلها بنجاح فائق وأصبح من أبرز ممثلي اللاهوت الأكاديمي في روسيا في القرن العشرين. في عام ١٩٠٦ تخرّج من مدرسة تولا الإكليريكية بامتياز ودخل أكاديمية موسكو اللاهوتية. تخرّج منها في سنة ١٩١٠ وبقي يدرّس فيها. يجدر بالذكر أنه لم يكن يحصل إلا على علامة **"ممتاز"** في كل الموادّ التي درسها، كما كان قد مُنح جائزتين من مطران موسكو لمؤلفاته أثناء سنوات دراسته.

---

[٣] ميخائيل لومونوسوف (١٧١١- ١٧٦٥) – أوّل عالم روسي مشهور على المستوى العالمي. قد وضع أساساً للكيمياء الفيزيائية كما ساهم في تطوير جميع علوم عصره، إضافة إلى وضعه أساساً لنحو اللغة الروسية وطرح فكرة تأسيس جامعة موسكو التي سمّيت فيما بعد على اسمه.

كانت دعوته وموهبته مركزها الدراسات اللاهوتية، وكانت محبّته للعلم والأكاديمية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بلافرا الثالوث القدّوس والقديس سيرجي حيث كان مقرّ الأكاديمية. كان نشاطه العلمي غير منفصل عن النسك والكنيسة، وكانت حياة القدّيس المستقبلي تجري بين مركزين هما مكتبة الأكاديمية اللاهوتية وكنيسة الثالوث القدّوس للافرا القدّيس سيرجي حيث كانت تُحفظ رفاته الكريمة وهي من أهمّ مقدّسات الكنيسة الأرثوذكسية الروسية. وبالتالي، كانت أكاديمية موسكو اللاهوتية في بداية القرن العشرين مركزاً فريداً يجمع بين العلم والحياة الروحية، وسيرة القدّيس هيلاريون دليل واضح على ذلك.

بعد التخرّج من الأكاديمية أصبح فلاديمير ترونيتسكي يستعدّ لمناقشة الأطروحة لنيل درجة الماجستير في اللاهوت. كانت بحوثه العلمية التي كرّس لها عشرين سنة من حياته تتناول موضوع الكنيسة بالدرجة الأولى. **لم يكن يتخيّل**

حياة الإنسان **خارج الكنيسة** فأصبح اقتناعه بخلاصيتها الناتج عن خبرته الشخصية أساساً لتعليمه حول الكنيسة. تستند نظريات القدّيس هيلاريون إلى الكتاب المقدّس ومؤلفات الآباء القدّيسين وتُعتبر كتاباته جزءاً مهمّاً من الأدب الروحي الروسي. معظم مؤلفات القدّيس هيلاريون تطرح موضوع الكنيسة على أنها "**اتحاد المحبّة**" أيْ جسد ميستيكي يتحد أعضاؤه بحياة النعمة المشتركة التي اسمها المحبّة.



القدّيس الشهيد في الكهنة هيلاريون ترويتسكي

مؤلفاته

تميّزت مؤلفاته بالطابع الكنسي الأرثوذكسي السليم ومكافحة النزعة السكولاستيكية التي كانت قد تغلغلت إلى لاهوت الكنيسة الروسية منذ القرن السابع عشر. والفكرة الرئيسية التي تنبثق من جميع مؤلفات القدّيس هيلاريون هي: "**لا خلاص خارج الكنيسة**"، ولذلك قد جرت العادة على تصويره على الإيقونات حاملاً الرسالة مع هذه الكتابة في يده.

في عام ١٩١٢ تمّت مناقشة أطروحته تحت عنوان "**الدراسات في تاريخ العقيدة حول الكنيسة**" التي تناولت موضوع هذه العقيدة كتعبير عن الوعي الكنسي الذي تشكّل خلال قرون المسيحية الأولى من خلال مواجهتها للهرطقات المختلفة. كما أثبت المؤلّف أن تلك المنازعات القديمة تتكرّر في الحياة الكنسية المعاصرة وتطرّق إلى الجدالات المماثلة مع الكاثوليك والبروتستانت. كان بحثه قد

صدر ككتاب قبل المناقشة ونال أعلى التقديرات من الدكاترة ولم يواجه أيْ اعتراضات علمية ممّا أزعل صاحب البحث قليلاً بسبب حبّه للنقاشات العلمية.



القدّيس الشهيد في الكهنة هيلاريون ترويتسكي

راهب وكاهن وأرشمندريت

كانت دعوة فلاديمير أن يخدم الرب كراهب، وفي ١٩١٣/٣/٢٨ تمّت رسامته الرهبانية في لافرا القديس سيرجي وحصل على اسم **هيلاريون**. وفي نفس السنة تمّ تصييره إلى راهب كاهن ثم إلى أرشمندريت. لم يكن له أدنى شكّ في صحّة اختيار هذا الطريق رغم أنه كان يبدو للناس من الناحية الظاهرية إنساناً اجتماعياً مرحاً. كان النسك حالة طبيعية بالنسبة له وكان يتطلع إلى الفضيلة ويكره الخطيئة منذ طفولته. تكشف لنا مؤلفات القديس هيلاريون ومذكّرات معاصريه عن صفات **"إنسانه الداخلي"** وأهمّها طهارة نفسه طوال حياته وفرحه الروحي الدائم الناتج عن خبرته من الحياة الكنسية. واحتفظ القدّيس بهذا الفرح لاحقاً في الظروف الفائقة الصعوبة في معسكر الاعتقال في **"سولوفكي"** بل سعى إلى مشاركة فرحه مع الآخرين المحرومين منه. يمكن القول إنه كان يتشبّه بالقدّيس **سيرافيم ساروفسكي** في

مزاجه الفصحيّ الدائم ("يا فرحي، **المسيح قام!**") وكان من الذين يسمّونهم "**ملاك أرضي وإنسان سماوي**".

بروفسوراً للأكاديمية

في مايو ١٩١٣ تمّ تعيين الأب هيلاريون بروفسوراً للأكاديمية فنال محبّة واحترام زملائه وطلابه بسرعة وكان يُعتبر من "**أركان**" الأكاديمية. كان الطلاب الإكليريكيون يحضرون محاضرات البروفسور الشابّ بحماس ويحبّون حيويتها وارتباطها بحياة العصر. وبحسب مذكرات طلابه، كان بروفسورهم إنساناً يحبّ الجدال والنقاش ولم يستطع إلقاء المحاضرات بهدوء بل كان يحتاج إلى إثارة حماس المستمعين إليه ومجادلتهم في موضوع المحاضرة. كانت له كارزما عجيبة وقوّة داخلية عظيمة وكان شكله يدلّ على روح طاهرة نبيلة وثقافة وفكر عميقيْن. كان يحمل في نفسه تلك المحبّة التي قد كتب عنها في بحوثه وكانت هذه المحبة تشمل كل ما كان عزيزاً عليه : **الكنيسة وروسيا**

وأكاديميته وكان يشجّع بها جميع المحيطين به. كان القدّيس هيلاريون يتذكر السنوات التي قضاه في لافرا القديس سيرجي كأجمل فترة في حياته. كان من أحد المرشّحين لمنصب رئيس أكاديمية موسكو اللاهوتية ولكنه تهرّب من هذه الترقية. كان مرتبطاً بالأكاديمية حتى مايو ١٩٢٠ عندما تمّت رسامته الأسقفية.

المجمع المحلي للكنيسة الأرثوذكسية الروسية

التغيّر في حياة الأرشمندريت هيلاريون حصل في عام ١٩١٧ عندما اشترك في المجمع المحلي للكنيسة الأرثوذكسية الروسية الذي طرح موضوع إعادة تأسيس النظام البطريركي في روسيا. كان القديس هيلاريون من أبرز أنصار ضرورة هذه الخطوة التي كانت تعني تحرير الكنيسة من سيطرة الدولة عليها. وفي ٢٣ أكتوبر ألقى الأرشمندريت هيلاريون خطابه الشهير تحت عنوان "**لماذا يجب إعادة تأسيس البطريركية؟**" الذي أثّر على جميع الحاضرين ونال إعجابهم.

ذكر في خطابه بأنه كما يوجد في القدس حائط المبكى هكذا يوجد في موسكو حائط المبكى الروسي وهو يقع في كاتدرائية الرقاد حيث يبقى كرسي البطريرك فارغاً ويأتي هناك الروس المؤمنون على مدى مائتي سنة وهم يبكون على مجد الكنيسة الماضي الذي قضى عليه القيصر بطرس. وبالتالي ساهمت مشاركة القديس هيلاريون في اتخاذ المجمع المحلي القرار لصالح النظام البطريركي بتاريخ ١٩١٧/١٠/٣٠.

قبل انعقاد المجمع المحلي الذي شارك الأرشمندريت هيلاريون في عمله كان صيته قد ذاع خارج أكاديمية موسكو اللاهوتية بعيداً إلى درجة أن البعض كانوا ينظرون إليه كمرشّح مرغوب فيه لكرسي البطريرك وهو لم يكن قد رُسم أسقفاً. ولكن الإرادة الإلهية شاءت أن يصبح هذا المجاهد الناسك معاوناً رئيسياً ويداً يمنى للبطريرك **تيخون** في السنوات الرهيبة الأولى من اضطهاد البلاشفة للكنيسة.

تيخون بطريركاً للكنيسة الأرثوذكسية الروسية

بعد حوالي مائتي سنة من خلو الكرسي البطريركي في روسيا أصبح المطران تيخون بطريركاً للكنيسة الأرثوذكسية الروسية. أمّا المطران هيلاريون (ترويئيتسكي) فصار سكريتيراً له ومستشاراً رئيسياً في الأمور اللاهوتية. ولكن هذا المنصب الرفيع كان يكمن وراءه في تلك الفترة العصيبة دور الإنسان الذي كانت حياته مهدّدة بالخطر في كل دقيقة.

أصبحت مهمّة البطريرك الأساسية هي الحفاظ على الكنيسة في ظروف الاضطهاد الذي جاءت به ثورة أكتوبر ١٩١٧. كان القدّيس هيلاريون يستر البطريرك تيخون في كل اتصالاته مع السلطات البلشفية والإكليروس الموالي لها. لقد سقط الخادم الخاصّ للبطريرك ضحية للاغتيال الذي كان هدفه البطريرك نفسه، أما القديس هيلاريون فأصبح عرضة للانتقام من طرف أعداء البطريرك.

في شهر مارس ١٩١٩ تم القبض على الأرشمندريت هيلاريون لمدة شهرين لمجرّد قربه من البطريرك. بعد إطلاق سراحه سكن عند صديقه الكاهن في موسكو لأن الأكاديمية اللاهوتية في لافرا الثالوث القدوس قد تم إغلاقها.



القدّيس الشهيد في الكهنة هيلاريون ترويئتسكي

ومنذ بداية العشرينات وحتى نوفمبر ١٩٢٣ كان القديس هيلاريون رئيساً لدير "سريتينسكي"[٤] في حي "لوبيانكا" في موسكو لغاية إغلاق الدير واعتقاله مرة أخرى.

الرسامة الأسقفية

في مايو ١٩٢٠ تمّت الرسامة الأسقفية للقديس هيلاريون وهي حدث مهمّ في حياة الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في تلك السنوات. وفي كلمته تنبّأ البطريرك تيخون بإكليل

---

[٤] دير "سريتينسكي"/ Сретенский монастырь (الصفة من الكلمة السلافية "сретение""اللقاء؛ الاستقبال") – دير مكرّس لتذكار نقل إيقونة العذراء الفلاديميرية العجائبية إلى موسكو في عام ١٣٩٥. وقد تمّ تأسيس الدير في المكان الذي اُستقبلت فيه الإيقونة من قبل أهل موسكو الذين كانوا يطلبون شفاعة والدة الإله في حماية المدينة من جيش تيمورلنك.

جـهاد الاعـتراف لأسـقف جديـد لثباتـه في الإيمـان والـدفاع عـن الكنيسة. فأجاب سيّدنا هيلاريون على هـذه الكلمـة بخطـاب رائـع عـكـس حالـة الكنيسـة آنـذاك وأظهـر اسـتعداده لتقبّـل مصيره، علماً بأنّه قد تم إراقة دماء مئات الشهداء من أجل الإيمان.

كـان القديس هيلاريون يقضي النصف الأول من النهار مع البطريرك في دير "**دونسكوي**" ويشاركه في إقامة الخدم الإلهية. كانت شهرة الأسقف العظيم ومحبّة الشعب له تزداد من يوم إلى يوم وحتى رجال الكهنوت أصبحوا يطلقون عليه لقب "**هيلاريون الكبير**".

القبض على البطريرك تيخون والأسقف هيلاريون

في ربيع ١٩٢٢ تم القبض على كل من البطريرك تيخون والأسقف هـيلاريون فوجـد الأخـير نفسه في المـنفى في مدينة

أرخانغلسك[5] لمدة سنة إثر استيلاء أنصار حركة التجديد[6] على

---

[5] أرخانغلسك (ومعناها "مدينة رؤساء الملائكة") – مدينة في شمال روسيا قريبة من البحر

[6] كان هدف المجدّدين إصلاح الأرثوذكسية استناداً إلى النموذج البروتستانتي الممزوج بالإيديولوجيا الشيوعية. كان من مطالبهم إجراء إصلاح كنسي شامل يضمّ تقصير وتبسيط النصوص الليتورجية والخدمة باللغة الروسية بدلاً من السلافية والانتقال إلى التقويم الغريغوري والقضاء على الرهبنة وإلزامية وجود أساقفة متزوّجين وإمكانية الزواج الثاني للكهنة وتقريبهم من العلمانيين من الناحية الظاهرية. كان رائدهم هو الكاهن الموهوب المتخرّج من أكاديمية سانت بطرسبرغ اللاهوتية ألكسندر فيدينسكي الذي دعم الثورة البلشفية منذ البداية. قام أنصاره برسمه "أسقفاً" وهو متزوّج وتزوّج ثانية وهو"مطران". اتخذ لنفسه لقب "المطران والمدافع والبشير". اختفت حركة المجدّدين من الوجود كلياً بعد موته في عام ١٩٤٦.

السلطة الكنسية في موسكو. رجع الاثنان بعد سنة إلى إدارة الشؤون الكنسية فوجدا الوضع خطيراً جدّاً نظراً لتزايد نفوذ المجدِّدين.

المجدّدون

المجدّدون هم أتباع حركة تجديد الكنيسة على جميع المستويات وقد ظهرت هذه الحركة المنشقة عن بطريركية موسكو والموالية للسلطات الجديدة إثر انقلاب أكتوبر ١٩١٧ وحظيت بدعم البلاشفة. كان هدف الحكومة هو إجراء الإصلاحات الكنسية بحسب خطة المجدّدين والقضاء على الأرثوذكسية القانونية. في الفترة ما بين ١٩٢٢- ١٩٢٦ كانت حركة المجدّدين منظمة **"أرثوذكسية"** وحيدة معترف بها من قبل السلطات السوفييتية. في أواسط العشرينات كان حوالي نصف الأساقفة والرعايا في روسيا تحت نفوذ الحركة والسبب الرئيسي لذلك هو خوفهم على حياتهم ودعم السلطات للمجدّدين.

حرم البطريرك تيخون روّاد حركة المجدّدين من الأعمال الكهنوتية ومنع المؤمنين الأرثوذكس من الشركة الإفخارستية معهم. كان للقديس هيلاريون دور كبير في إرجاع الكثير من المجدّدين إلى حضن الكنيسة الأرثوذكسية وتطبيع الحياة الكنسية في موسكو. لقد قام شخصياً بوضع ترتيب قبول المجدّدين إلى الكنسية واقتبل اعترافات المئات منهم.

في صيف ١٩٢٣ قام القديس هيلاريون بطرد المجدّدين من دير "سريتينسكي" الذي كانوا قد استولوا عليه أثناء غيابه وقام بتكريس كنيسة الدير والمائدة المقدّسة مرّة أخرى، مشيراً بذلك إلى أن خطيئة الانشقاق بحاجة إلى تطهير خاص. ذاع الخبر عن هذا الحدث في كل روسيا فساهم ذلك في رجوع الكثيرين إلى الصواب وإلى الكنيسة القانونية.

كان رئيس الأساقفة هيلاريون في تلك الفترة أبرز شخصية تمثّل الكنيسة الأرثوذكسية في الاتصالات مع المجدّدين

والسلطات الشيوعية وفي الإجراءات التي كان لا بدّ منها لإنقاذ بطريركية موسكو وتنظيم حياة الكنيسة على أساس الحق القانوني. كما كان يشارك في كثير من المناظرات العلمية مع المجدّدين وهو يفنّد نظرياتهم ويفضح مكرهم. كان الحضور معجبين بقوّته الروحية ويلقون كلامه بالتصفيق. كل هذا كان يزيد من كراهية المجدّدين لخصمهم العظيم فبذلوا كل جهد للتخلص منه.

في خريف ١٩٢٣ طالب مفوّض المخابرات في الشؤون الكنسية "توتشكوف" البطريرك تيخون بالتصالح مع رئيس المجدّدين لكن البطريرك رفض ذلك رفضاً قاطعاً. كما فشلت خطة السلطات في فرض التقويم الغريغوري على الكنيسة الأرثوذكسية القانونية. فاعتبر توشتكوف أنّ المسؤول الرئيسي عن فشل سياسته هو رئيس الأساقفة هيلاريون.

سولوفكي

في ليلة ١٦ نوفمبر ١٩٢٣ تمّ القبض على القديس هيلاريون وذلك لأنه في المساء السابق لم يتمّ الإعلان في كنائس موسكو عن بداية صوم الميلاد بحسب التقويم الجديد. حُكم على القديس بثلاث سنوات من معسكر الاعتقال في جزر "**سولوفكي**". هذه الجزر الواقعة في أقصى شمال روسيا في البحر الأبيض والتي نشأ فيها في القرن الخامس عشر دير مشهور قد تمّ تحويلها بعد ثورة أكتوبر إلى أوّل معتقل للسجناء السياسيين وشغل مباني الدير العريق بعد طرد الرهبان منه.

كتب القديس هيلاريون وهو في سولوفكي: "**لا يمكن وصف هذه الظروف، بل يجب اختبارها ولو قليلاً، فإنه بالفعل الشيطان نفسه**". كان القديس أثناء فترة اعتقاله يقوم بأشغال مختلفة مثل الصيد وحياكة الشباك والحراسة، وحتى في ظروف المعتقل الرهيبة كان يحتفظ بالفرح الروحي ويمارس جهاده الداخلي ويشجّع الآخرين بالفكاهة التي كانت طباعه

تتميز بها دائماً.

لما بلغ خبر موت زعيم الثورة لينين سجناء سولوفكي طولبوا بالوقوف صفّاً واحداً وتكريم ذكرى الزعيم بدقيقة صمت. لكن رئيس الأساقفة هيلاريون بقي مستلقياً على سريره بلا حركة ولم يستجب لطلبات رفقائه بل قال: **"فكّروا يا آباء ما الذي يحدث في الجحيم الآن وكم يفرح الشياطين، فإن لينين بنفسه حضر إلى هناك!"** وهكذا كان القديس حتى في ظروف المعتقل إنساناً حرّاً روحياً.



القديس هيلاريون بين المعتقلين

أظهر القديس هيلاريون وهو في سولوفكي أجمل صفات روحه وتجلّت فيه عظمة جهاد المعترف من أجل المسيح. كان الجميع متعجّبين لوداعته وبساطته ولعلاقته مع المحيطين به. إنه لم يكن ينتبه أبداً إلى ظاهر الإنسان بل كان يرى صورة الله في كل واحد، حتى في الذين هم حُثالة المجتمع وأصحاب السوابق والبلطجية. لم يكن يهتمّ بأغراضه الشخصية ولم ينتبه لسرقتها إلى درجة أنه كان لا بدّ من وجود أحد يحتفظ بها. وفي فترة قصيرة أصبح رئيس الأساقفة "**أسطورة**" في سولوفكي وأكثر شخصياتها شعبية بين كل طبقات السجناء. رغم أنه لم يكن أكبر الأساقفة المعتقلين سناً في سولوفكي إلا أنّ جميع رجال الإكليروس المسجونين كانوا يعتبرونه قائداً لهم منذ بداية تواجده هناك.

نجد وصفاً رائعاً لشخصية القديس هيلاريون في كتاب أحد سجناء سولوفكي المعاصر له والناجي من الموت **بوريس شيريايف** حيث قال إنّ قوة عجيبة كانت تنبعث من سيّدنا

هيلاريون وهو هادئ دائماً، وحتى حرّاس المعتقل لم يكونوا يسمحون لأنفسهم بالفكاهات البذيئة في حضوره ولم يطلق عليه أحد كلمة "**أفيون**"[٧] المهينة أو "**رفيق**" بل كانوا يخاطبونه أحياناً بلقب "**سيّدنا**". كانت هيبته عظيمة إلى درجة أن الخبر عن نشاطه في المعسكر بلغ الروس المهاجرين.

كان من إنجازات القديس هيلاريون وهو في سولوفكي أنه تمكّن من نَيْل موافقة إدارة المعسكر على إقامة سحرية الفصح في عام ١٩٢٦، وكانت تلك الخدمة الإلهية هي الوحيدة في تاريخ المعسكر. كما استغلّ القديس هيلاريون احترام الحرّاس له لطلب تسهيل ظروف العمل لكثير من

---

[٧] "الدين أفيون الشعوب" – تعبير من مؤلفات كارل ماركس. وقد أصبحت كلمة "أفيون" في اللغة الروسية تُستخدم بعد الثورة البلشفية من قبل الملحدين للدلالة على كل ما له علاقة بالكنيسة وكمخاطبة رجال الكهنوت إهانة لهم.

رفقائه، الكهنة والعلمانيين على حد سواء. وبفضل جهوده الدبلوماسية تمّ جمع الكهنة المعتقلين في فريق عمل رقم ٦ كان أعضاؤه يشتغلون بأعمال خفيفة نسبياً مثل الطبخ وبيع المؤونة وحراسة المخازن. كما سُمح للكهنة بطلب من القديس هيلاريون بإبقاء لحاهم وشعرهم على الرغم من انتشار وباء التيفوس. وفي نفس الوقت لم يكن القديس هيلاريون يهتمّ كثيراً بتسهيل ظروف حياته وكان يفضّل أن يظلّ يشتغل كصيّاد **(ودرجة حرارة البحر الأبيض تبلغ في الصيف حوالي عشر درجات فقط).**

في عام ١٩٢٦ قام القديس هيلاريون مع الأساقفة المعتقلين الآخرين بوضع نصّ **"بيان أساقفة سولوفكي"** الموجّه إلى الحكومة السوفييتية. تناولت هذه الوثيقة موضوع الاضطهاد على الكنيسة وفضحت كذب حركة المجدّدين وطالبت بتحقيق مبدأ فصل الكنيسة عن الدولة. وكان لها دور كبير في مكافحة الانشقاق القائم آنذاك. كما استطاع القديس

هيلاريون تسوية الخلافات بين الأساقفة المعتقلين في سولوفكي وتثبيتهم في الإخلاص للكنيسة الأرثوذكسية القانونية التي ترأسها **المطران سيرجي**.

كان البطريرك تيخون قد توجّه أكثر من مرّة إلى السلطات بطلب إطلاق سراح الأساقفة أعضاء المجمع المقدّس المعتقلين وخاصّة رئيس الأساقفة هيلاريون لكن دون جدوى. بقي القدّيس في المعتقل لأنه كان واثقاً تماماً بأنّ طريق المجدّدين هو طريق خطأ ولم يخالف مبادئه حتى آخر لحظة من حياته.

سجن مدينة ياروسلافل

في صيف ١٩٢٥ تمّ نقل سيّدنا هيلاريون إلى سجن مدينة ياروسلافل[٨] وذلك لمحاولة إقناعه بالانضمام إلى انشقاق المجدّدين نظراً لهيبته بين المؤمنين. حضر إليه في السجن ممثل المخابرات قائلا إن موسكو كلها تحبّه وهي في انتظاره. لكن القدّيس رفض ذلك بشكل قاطع قائلا: **"أفضّل أن أهلك في السجن على أن أغيّر مسيرتي"**. لقد تخلّى القديس عن حلاوة الحرّية التي ثمنها الخيانة. فأضيفت إلى مدة سجنه ثلاث سنوات أخرى.

وجد القديس نفسه في **سولوفكي** من جديد. ومع ذلك لم يتركه المجدّدون في حاله وهم يأملون في إقناعه بالانضمام

---

[٨] **ياروسلافل** بالروسية Ярославль : هي إحدى مدن روسيا في الكيان الفدرالي الروسي ياروسلافل أوبلاست.

إليهم واستغلال هيبته لترسيخ مواقفهم، ولذلك تم إحضاره أكثر من مرة إلى موسكو للمفاوضات مع رؤسائهم. فكان القديس كل مرة يشرح لهم أن خطّتهم البشرية الضارّة المخالفة للقوانين الكنسية ستبوء الفشل وكان يحاول إقناعهم بالامتناع عنها والرجوع إلى الكنيسة القانونية.

في خريف ١٩٢٩

في خريف ١٩٢٩ كانت مدة سجن القديس هيلاريون على وشك الانتهاء، ولكن السلطات لم تعزم على إطلاق سراحه بل خطّطت لإهلاكه في السجن. فحُكم عليه بالنفي إلى آسيا الوسطى لمدة ثلاث سنوات. وفي طريقه من سجن إلى سجن مرض المجاهد بالتيفوس الطفحي المنتشر بين المعتقلين. بلغ السجن في **مدينة لينينجراد** – وهو في حالة حمّى – لابساً خِرَق بالية ملآنة حشرات وقد تمّ سرقة جميع أغراضه في السجن. بعد يوم واحد مشى على رجليه ودرجة حرارته ٤١ إلى مستشفى السجن، وبعد قليل وقع في حالة الهذيان وكان يقول فيها:

"ها أنا الآن صرت حرّاً تماماً". شهد الطبيب الذي كان حاضراً بجانبه عند رقاده بأن القدّيس كان يشكر الرب وهو يستعدّ للقاء القريب معه. **انتهت مسيرة صليب القديس هيلاريون في ١٥(٢٨) ديسمبر عام ١٩٢٩.**

تمكّن المطران سيرافيم (تشيتشاغوف) **ميتروبوليت لينينجراد**[٩] من نيل موافقة السلطات على مراسم دفن رئيس الأساقفة هيلاريون بشكل يليق برتبته الكنسية. فتمّ توريد حلّة أسقفية بيضاء إلى مستشفى السجن. نُقل جسد الراقد إلى دير **"نوفوديفيتشي" في لينينجراد** وعندما نظر الحاضرون إليه

---

[٩] سانت بطرسبورغ بالروسية Санкт-Петербу́рг :، والتي عرفت سابقاً باسم لينينغراد Ленингра́д من ١٩٢٤ - ١٩٩١ وباسم بيتروغراد Петрогра́д من ١٩١٤ – ١٩٢٤ ، هي مدينة روسية تقع في شمال غرب روسيا في دلتا نهر نيفا ، شرق خليج فنلندا ، في بحر البلطيق .و تعتبر أحد أكبر مراكز أوروبا الثقافية.

وهو في التابوت وجدوا عجوزاً لم يكن يشبه ذلك الرجل الشابّ القوي الوسيم كما كان الجميع يتذكرونه، فأغمي على إحدى قريباته...

هكذا انتقل إلى الحياة الأبدية هذا الإنسان الرائع القوي روحاً وجسداً عالم اللاهوت البارز والمجاهد الشجاع من أجل الكنيسة. كانت وفاته خسارة كبيرة بالنسبة للكنيسة الروسية المتألمة.

في عام ١٩٩٩ تمّ إعلان قداسة الشهيد في الكهنة هيلاريون ونقل رفاته إلى دير "سريتينسكي" في موسكو الذي كان القديس رئيساً له قبل إغلاقه والذي قد تمّت إعادة الحياة الرهبانية فيه.

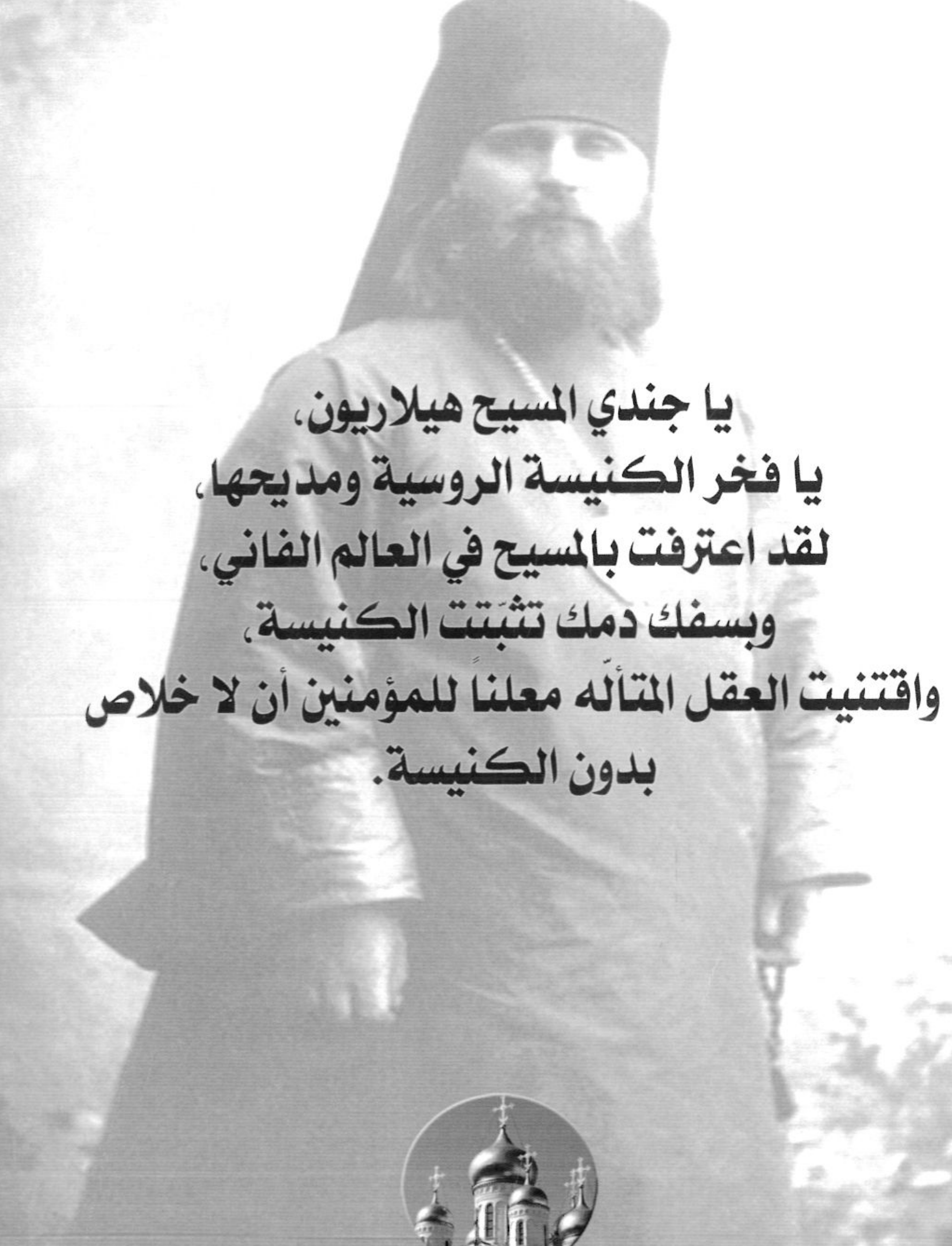
تعيّد الكنيسة للقديس الشهيد في الكهنة هيلاريون (ترونيتسكي) في ١٥ (٢٨) ديسمبر – تاريخ رقاده وفي ٢٧ أبريل (١٠ مايو) – إعلان قداسته.

الطروبارية، اللحن الرابع:

يا جندي المسيح هيلاريون، يا فخر الكنيسة الروسية ومديحها، لقد اعترفت بالمسيح في العالم الفاني، وبسفك دمك تثبّتت الكنيسة، واقتنيت العقل المتألّه معلناً للمؤمنين أن لا خلاص بدون الكنيسة.

القنداق، اللحن السادس:

يا هيلاريون يا شهيد كهنة المسيح، إنّك لم ترهَب خدّام ضدّ المسيح الآتي واعترفت بالمسيح بشجاعة وبذلت نفسك من أجل كنيسة الله. يا جمال الشهداء الروس الجدد ومديح روسيا المقدّسة، أنت فخر كنيستنا وثباتها.



يا جندي المسيح هيلاريون،
يا فخر الكنيسة الروسية ومديحها،
لقد اعترفت بالمسيح في العالم الفاني،
وبسفك دمك تثبّتت الكنيسة،
واقتنيت العقل المتألّه معلناً للمؤمنين أن لا خلاص
بدون الكنيسة.

التراث السلافي الأرثوذكسي

Al Jabal